

غرسُ شجرة التّوحيد في المجتمع الإسلامي

(مترجم)

"ليكن الدين شأني مع ربي" أو "الحديث عن الإسلام فقط في المسجد". كثيراً ما نسمع مثل هذه الكلمات في الأماكن العامة، حتّى من المسلمين. أصبحت العلمانية والليبرالية من الأمراض المزمنة التي تصيب البلاد الإسلامية خاصّة عندما يديرون شؤونهم في الأماكن العامة، بل إنهم على استعداد لأن تنظمهم قوانين علمانية لتسوية شؤونهم في الحياة العامة، لأن الدّين لا يمكن مناقشته إلّا على الهامش أو في الأماكن الخاصة.

ونتيجة لذلك، فإن العديد من المسلمين اليوم غير قادرين وغير راغبين في التمييز بين الصواب والخطأ، ولا يمكنهم الرد على الظلم بشكل صحيح، بل والتزام الصمت حيال الفساد والشر. وبالمثل مع المسلمات، لم يُعدن قدرات على التمييز بين الواجبات والحقوق، مفتونات بتعويذة النسوية التي تجعلهن يركّزن على النضال من أجل حقوقهن، مهملات لالتزاماتهنّ الرئيسية في المنزل بما في ذلك واجب الدعوة.

هذه الظاهرة من أعراض الإصابة بالعقيدة. حيث تكون تلك العبارات الدنيوية جملاً سيئة، وصفها الله تعالى في سورة إبراهيم ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾.

وفي تفسير الميسر يوضح أن مثّل الكلمات البذيئة، أي كلمات الكفر، أشبه بشجرة سيئة الأكل والطعم، وهي شجرة الهنزال (نوع من القرع) التي لا تنفع وطعمها فيه مرارة، هذا كفر لا فائدة منه ولا خير. يسهل سقوط هذه الشجرة لأن الجذور تزرع قريبة من السطح ولا توجد أغصان شاهقة، وكذلك الكافر: ليس له صلابة في نفسه، ولا خير فيه، ولا شيء من أعماله الصالحة يرفع إلى الله.

هذا الرسم التوضيحي دقيق للغاية، ويتناسب مع صورة دمار المجتمع العلماني اليوم بسبب تبني قوانين ليبرالية من صنع الإنسان، عندما تملأ الكلمات العلمانية ترتيب القيم والقوانين في المجتمع، يصبح الضرر الكبير حتمياً، مثل الشجرة الخبيثة، لن ينتج المجتمع العلماني سوى بشر ضعفاء يعانون من اضطرابات نفسية وشخصية، على غرار شجرة الهنزال التي تنهار بسهولة، وتؤتي ثمارها مرةً ولا تعود بالنفع على الآخرين.

الثمرة المرة حقيقية جداً في الحياة الحديثة المليئة بالفساد والانحطاط. لم تعد الحضارة الإنسانية تسير وفق الفطرة في تكريم الإنسان، بل هي عبادة للمادة الدنيوية. لذا انتبه إلى كلام النبي محمد: «أَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» الطبراني.

يخبرنا هذا الحديث أنه سيكون هناك ضرر أو خراب لثلاثة أشياء تصيب البشر إذا استمروا في الكفر، من السمات القوية للمجتمع العلماني نزعتة الفردية واللامبالاة تجاه الآخرين، والتي أصبحت تدفقاً قوياً في التطور

العلماني الرأسمالي اليوم. هذا من أعراض الدمار. الأول هو مرض حب المال والخوف من الفقر، والثاني هو الشهوة الليبرالية والهوس بالذات أو المتلازمة النرجسية.

لا تزال كلمات النبي محمد ﷺ وثيقة الصلة بهذا العصر، حتى إنها أصبحت نموذجاً مثالياً في عملية التنمية البشرية الحديثة. نجح رسول الله ﷺ في تكوين الجيل الأول من الناس العاديين في الصحراء العربية إلى أفراد شخصية تمكنوا من أن يصبحوا لاعبين عالميين. قام رسول الله ﷺ برعاية مجموعة من الصحابة ليصبحوا أفراداً تمكنوا من تحرير أنفسهم من أغلال الجهل ليصبحوا بشراً بأجندة نبيلة ورؤى وقادرين على ربط دورهم في العالم بهدف الآخرة.

وذلك لأن الرسول ﷺ قد زرع عقيدة التوحيد في النفس البشرية. حيث يُشار إلى عقيدة التوحيد في الإسلام بالكلمة الطيبة، وهي تشبه الشجرة الطيبة، وهي الشجرة الجميلة التي تغلغل جذورها في الأرض، بينما ترتفع أغصانها عالياً في السماء، وتؤتي ثمارها الحلوة حيث تفيد الطبيعة المحيطة بها. انتبه إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، ويتبين من فهم هذه الآية أن طبيعة شجرة التوحيد متكاملة؛ لأن الجذر واحد، فعندما تكون الأغصان عالية والثمار كثيرة تكون الجذور واحدة، المصب واحد، الشجرة هي كل شيء وليست وحدة من أجزاء منفصلة. لذلك، فإن المسلم لن يكون له بالتأكيد عقلية ثنائية أو متلازمة التقسيم. مثل فصل الدين عن الحياة، أو فصل المعرفة العلمية عن المعرفة الدينية، أو فصل مشاكل الأمة عن المشاكل الشخصية. إذا استمرت هذه المتلازمة ثنائية التفرع، فيجب أن نقوم بفحص جذور إيماننا، خشية أن تكون الجذور ضعيفة أمام الفيروس حتى لا يتمكنوا من دعم الجذع وكل شيء عليه. أكثر من ذلك، هذه العقلية ثنائية التفرع هي إرث طرق التفكير العلمانية التي تؤدي إلى انقسام الشخصية في النفس البشرية، وبشكل أوسع تؤدي إلى تدمير المجتمع.

مع عقيدة لا إله إلا الله، سيجعل المسلم من التقوى محور الحياة، والدعوة هي الأجندة الرئيسية، وتطبيق الإسلام هو المثل الأعلى لحياته، أجندة التغيير هي الرسالة في الحياة وإفادة الناس مقياس للنجاح. كل أدوارنا الشخصية تتبعها، لتصبح مدارات في الدعوة كنظام شمسي على جميع المستويات. وهذه علامة لشجرة التوحيد في العمل عند المسلم مرتفع وشاهق. فكلما نما، زاد نفعه على الناس؛ ليكونوا جيدين مثل البشر.

لزراعة شجرة التوحيد في النفس البشرية، من الضروري حقاً تقليد نموذج النبي محمد ﷺ، تتطلب هذه العملية عدداً من الشروط التي يجب الوفاء بها بما في ذلك الوقت. مثل التربة التي تتشكل بطريقة معقدة من خلال خلط المواد الأولية والكائن الحي والمناخ والراحة والوقت. لذلك، لا توجد عملية فورية، فالأمر يتطلب العلماء المخلصين كمعلمي الأمة، وهداية الوحي، والثقافة الإسلامية، والصبر، والتفكير العميق والمشرق،

والقدرة على تحمل المعاناة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينمو التوحيد فينا كقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

أو كلمات التحرير، والتي تهدف إلى تحرير البشرية من قيود العبودية واصطحابها إلى عبادة الله سبحانه وتعالى. والمظهر هو أن المسلمين يتشكلون بشكل متزايد من خلال الوعي السياسي الإسلامي الذي يزود الأمة بمفاهيم توحيدية من أجل فهم السياسات القدرة للديمقراطية وجشع اقتصاد الرأسمالية. من خلال مفهوم الولاء والبراء، أصبح المسلمون قادرين بشكل متزايد على أن يروا بوضوح كيف خان الحكام الإسلام، وشجعوا الغزاة الغربيين. ونتيجة لذلك، فإن عقيدة التوحيد آخذة في الازدياد، مع وعي الأمة بالتغيير والتحرك. إن أولوية نضال الأمة في النهاية هي استئناف الحياة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

سيستمر هذا التأثير المتزايد للشجرة في التوسع ويؤتي ثماره، ستكون هناك تغييرات وتحسينات في المجتمع، على الرغم من أن مؤامرات أعداء الإسلام ستستمر في محاولة منع صعود الأمة. لقد ضمن الله تعالى أن الإسلام لن يفتقر إلى المحاربين. ستستمر صفوف الأفراد الواعين ولديهم التزام عميق في الظهور من المجتمع والاضطلاع بدورهم من أجل التغيير. إنهم يدركون أن وجود المسلمين في العالم مرتبط بمسؤوليتهم عن نشر رسالة الإسلام في حياة هذا العالم. في الوقت نفسه، يدركون أيضاً أن إحجام المسلمين أو عدم قدرتهم على نشر الرسالة سيؤدي إلى البؤس والخراب في الحضارة الإنسانية.

ونتيجة لذلك، فإن القيام بالدعوة والانضمام إلى المجتمع لمحاربة الجهل وإجراء التحسينات الإسلامية هي العوامل الرئيسية التي ستسرع من نمو شجرة التوحيد في الأمة. لأن هذا مطابق لصراع الأنبياء والرسل. مثل شجرة كبيرة وقوية ذات ثمار حلوة، يستغرق نموها سنوات، مع الصبر والمثابرة، إن شاء الله، هذه الدعوة ستؤتي ثمارها قريباً إن شاء الله.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

فيكا قمارة

عضو المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير